فنحن الآن نيام فاذا متنا فتلك هي الحياة الحقيقية نرى بواطن العوالم وخفاياها ولنقصر عنان القلم فى هذا المقام فاننا لو استوفينا الكلام لدق على الافهام وفى هذا القدر تبصرة وذكرى لأُولي الالباب

# الباب الثاني

## « فى الكلام على العلويات . وفيه أربعة فصول »

### الفصل الاول

### ( في عجائب السموات )

ثم قالت يا سيدي شاقني حسن حديثك الى ان تسمعني طرفاً من عجائب السموات والارض وما خلق الله من شيءٍ والجو والسحاب والانهار والجبال لقوله عز وجل ( أَولَم ينظروا فى ملكوت السمواتِ والارض وما خلق الله من شيءٍ ) وقوله (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) وكيف يكون التفكر فيها والاعتبار بها فقال وجوه الاعتبار كثيرة وجمال الصنعة الالهية يدهش العقول ويأخذ بالابصار فهذه النجوم الزاهرة

تتلألأ نوراً وتشرق بهجة معربة عن جمال بارئها كيف لا وما الصنعة الا من آثار صانعها وما النجوم وجمالها الا بارقة من جماله ولامعة من لوامع انواره فمن نظر السماء وهي خالية من السحاب شاهد درارى مرصعة محكمة الوضع على اشكال مختلفة من هيئة مثلث ومربع ومسدس وخط مستقيم وآخر منكسر ومستدير تسير سيراً حثيثاً في منازلها لا يعتورها ملل ولا تداخلها علل وهي سائرة في بروجها تارة صاعدة وأخرى هابطة وطوراً في رجوع وطوراً في استقامة على حساب بديع قد ضبط في كتب المقومين وبذلك نفهم اجمال قوله عز وجل ( الشمس والقمر بحسبان ) وقوله سبحانه ( ان الله سريع الحساب ) وانه كيف احصى ذلك الحساب على اختلاف انواعه وتفرع قوانينه من ابتداء الخليقة الى الآن ثم انظري بعد ذلك في اشراق انوارها الساطعة على سطح الكرة الارضية في مشارق الارض ومغاربها ومنها الاحمر والاصفر والابيض وكلها قد تحلت بنضرة وسناء وبهجة وحسن منظر كما قال الله عز وجل ( ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين ) ثم انظري الى ما بينها من الاختلاف والتباين قرباً وبعداً وكبراً

وصغراً وسرعة و بطئاً الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى وهذه الشمس اعظم جرما من جرم الارض بمليون ومئتين وتسع وخمسين ألفاً وسبعماية مرة وقد قالوا ان أرضنا كوكب من الكواكب تضيء على القمر كما يضيء هو عليها كما أوضحه العلامة بهاء الدين العاملي فقال ما ملخصه ان جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكثافته وينعكس عنه بصقالته فكذلك الارض تقبل ضوء الشمس لكثافتها وينعكس عنها لصقالتها فان الارض والماء المحيط بها كرة واحدة ونسبة اليابس الى الماء قليلة تبلغ ثلاثة اعشارها فلو فرض على القمر سكان لرأوا من الارض جميع الاشكال التي نراها نحن من القمر انما يكون ذلك في أوقات على عكس ما نرى نحن في القمر فاذا كان هو بدراً لنا كانت الارض في المحاق بالنسبة لهم لان وجهها المظلم صار مقابلاً لهم ووجهها المضيء جهة الشمس اذ الارض اذ ذاك متوسطة بين القمر والشمس واذا كان لنا خسوف كان لهم كسوفاً لوقوع ابصارهم داخل مخروط ظل الارض فتحجب الارض شعاع الشمس عن ابصارهم كما يحجب ظل القمر ابصارنا عن رؤية الشمس وقت الكسوف وهذا ظاهر لمن

تأمل ادنى تأمل ممن مارسوا علم الهيئة و بالجملة فجميع الاشكال التي نراها في القمر يرى مثلها سكان القمر من أرضنا في أوقات مخالفة لتلك ونور الارض على القمر اكثر من نوره عليها بمقدار اربع عشرة مرة تقريباً

هذا وكما ان في القمر محواً كذلك في نور الارض الساطع على القمر محو مثله الا ترين ان اليابس منها لا ينعكس عنه النور بالتساوي بخلاف البحر فان النور ينعكس عنه بالمساواة اه ملخصاً منه ومما درسناه في الهيئة الجديدة

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ان الشمس تبعد عنا بما ينوف عن تسعين مليوناً ميلاً ويصل ضوءها الينا في (٨) دقائق و (١٨) ثانية وضوء نجمة الشعرى اليمانية يصل لنا في (٢٢) سنة والسماك الرامح في (٢٦) والنجمة القطبية في (٥٠) سنة فكيف يكون ذلك البعد الشاسع وكيف تكون اقدار تلك الكواكب ومن الكواكب ما لا يصل ضوءه الينا الا بعد مئات بل آلاف من السنين وهذه عجائب تدهش الالباب وتحير العقول وتقهرها على الاقرار بالعظمة لخالقها وانه المنفرد بالابداع الخلاق العظيم رب المشرق والمغرب

لا إله إلا هو وياليت شعري اذا كانت الشمس اكبر من الارض بما ينوف عن مليون مرة كما قدمنا وضوءها يصل لنا في (٨) دقائق وكسور فكيف يكون حجم ما يصل ضوءه لنا في آلاف من السنين لعمري ان عظمة تلك الكواكب لا يمكن وصفها ولا تصورها وانما تكون الشمس بالقياس اليها كحبة خردل بالقياس الى الشمس وسياراتها وتوابعها ثم من الكواكب ما يومه وسنته دون يومنا وسنتنا ومنها ما هو اكثر من ذلك بكثير حتى ان سنة زحل (٢٩) سنة من سنينا، وسنة اورانوس اربع وثمانون سنة، وسنة نبتون مائة واربعة وستون سنة وكسور وما يعلم ما سنوه اعظم من ذلك الا مبدع هذه العوالم جل وعلا فكم من نجوم لم نعلم حقيقتها قد غابت في تلك المسافات البعيدة (ويخلق ما لا تعلمون) ولعل هناك ما يومه الف سنة مما نعد او خمسون الف سنة او اكثر او اقل واما هذه السنون فهي بالنسبة لشمسنا ومنها ما هو بطيء السير جداً ومنها ما هو سريعه حتى ان المشتري ليجري ثلاثين الف ميل في الساعة أي سبعة وعشرين ميلاً كلما تنفس الانسان مرة ونحو سبعة أميال مع كل نبضة في

جسم الانسان فانه يتنفس في كل دقيقة نحو (١٨) مرة ومع كل نفس (٤) نبضات في العروق وكم ظهر في النجوم من عجائب بالاستكشافات الحديثة فمنها ما ظهر وأخذت الوانه تتغير حيناً بعد حين ثم اختفى ولم يعد الى الآن ومنها نجوم متغيرة لا تحفظ اضواؤها شدة واحدة بل تتغير تارة بالزيادة وتارة بالنقصان بحيث ان النجمة الواحدة تمر على جملة اقدار مختلفة وهذه التغيرات تكون دورية في بعض النجوم أي في اوقات معدودة وايام محدودة و بعضها لم يعلم لها مدة ويقال ان في السماء عشرين مليون نجمة منها (١٨) مليوناً في المجرة التي تسمى بلسان علماء الشرع ابواب السماء و بلسان العامة طريق التبانه وهي عبارة عن منطقة ضيقة بيضاء غير منتظمة تقسم الكرة السماوية الى قسمين متساويين تقريباً على حسب دائرة عظيمة من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وعرضها متغير جداً ومتفرع الى فرعين يتحدان ثانياً على بعد مائة وخمسين درجة وهذه السحابة قد امكن علماء الهيئة كشف بعض نجومها وتمييزها واغلبها لم يزل مسدولاً عليه حجاب الخفاء وهي في الحقيقة نجوم ولكنها لشدة بعدها تتراءى لنا

انها منضمة لبعضها على هيئة تكوّن ضوءاً لبنياً يرى في الليالي الخالية من القمر وعند ما يكون الجوّ صافياً بل الشمس والسيارات والارض والاقمار وتوابعها عبارة عن جزء صغير من تلك المجرة

وتلك النجوم الخافية على ابصارنا فيها فلا نميزها ربما كانت شموساً كشمسنا هذه ولها عوالم وتوابع فسبحان الواسع الحكيم الهادي

وكم في السماء من نجوم متقاربة صغيرة القدر جداً حتى نرى مثل سحابة أو ضباب او قطعة نيرة سحابية لا تحل الى نجوم مفردة بالنظارات القوية ويسمون تلك الجمل بالسدام (والسدام جمع سديم وهو في اللغة الضباب وفي اصطلاح الفلكيين ما علمت) وهذه النجوم على اختلاف انواعها وتباين اشكالها واقدارها وابعادها يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فتتجلى لنا الاشياء بواسطة الاشعة الشمسية المنبعثة على سطح الكرة الارضية واشعة القمر ليلاً والكواكب عند غيبتهما وتكون لنا هداية على طرق السير في اليابسة

ولارباب القوافل في الصحاري معرفة تامة بواسطة تلك

النجوم كعرب الصحراء الكبرى من الملثمين وغيرهم فتراهم يجوبون الاقطار بما لهم من المعرفة التامة لصفاء جوهم وظهور نجومه بل كثيراً ما نرى العامة من ذوي الاشغال الليلية يقدرون ساعاته بطلوع نجم كذا وافول نجم كذا كالخفراء وارباب الفلاحة فينوطون بالنجوم تناوبهم في الاعمال وتعاقب دوابهم على العمل واستيقاظهم للسهر فياسبحان الله كأنهم درسوا علوم النجوم وعلموا ان سيرها لا يختل (صنع الله الذي اتقن كل شيء) وهدى الناس لمعرفة نظامه

دعينا من اليابسة واجيلي نظرك في البحار تري الملاحين يهتدون بها في ظلمات اللجج وامواجها وسواد الليل ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج الانسان يده فيها لم يكد يراها فلو لا ان الله عز وجل جعل تلك الكواكب نوراً وهداية ما اهتدى الى سواء السبيل وضل عنها وزاغ بصره ووقع في حيص بيص ولم تتقدم الامم ولم تتق نفوسهم الى الارتقاء فلذلك هيأ لهم من رحمته بيت الابرة (البوصلة) المختلفة الانواع (التي مضى ذكرها في المجالس السابقة) فان احد طرفيها يتجه الى القطب الشمالي كعاشق لا يرتد طرفه عن محبوبه فهذا

نافع ليلاً ونهاراً ثم بمعرفة جهة الشمال تعرف بقية الجهات وطول وعرض الطرقات وجميع الاتجاهات الى البلاد الدانيات والقاصيات وياللعجب كيف اتجهت تلك الابرة الممغطسة الى تلك الجهة الشمالية وظهرت للامم عند احتياجها لها كما ظهر الفحم الحجري وقد خباه لهم ربهم وانضجه تحت طبقات الارض بالحرارة ملايين من السنين قبل خلق أبيهم آدم بل قبل خلق الحيوان حتى اذا جاءت الاعصر المتمدينة وترشحوا للارتقاء والتواصل والتعاون وارتقت عقولهم واخترعوا الآلات البخارية اخرجه لهم ربهم من المخزن العمومي لتلك الآلات البخارية ليعينهم على سفر البحار وتكون البوصلة دليلة في ظلماته، تأملي قوله تعالى (وإِن من شيءٍ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)

وبالجملة فالاهتداء بالنجوم سار في البر والبحر كما قال تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) وكم للكواكب على اختلاف انواعها من حكم تبصرة وذكرى للعاقلين. ومن اللطائف اني كنت ايام مجاورتي بالجامع الازهر اسمع من العلامة الشيخ

الابياري رحمه الله يقول ان كواكب السماء كل منها في مدار مخصوص ولو حاد عن طريقه اختل نظام الكون كله فهو كساعة متى اختل احد اجزائها التي عليها المدار اختل سائرها ولما تلقيت العلوم الجديدة بمدرسة دار العلوم وجدت ما يشير الى ذلك من كلام نوتون بعد كيلبير فانه اثبت الجذب العام الذي هو قوة تنقاد لها جميع الاجسام السماوية وتتأثر بها، والتثاقل في الارض في الحقيقة نوع منها وقال جميع اجزاء المادة ينجذب بعضها الى بعض بقوة مناسبة طرداً لجسماتها وعكساً لمربعات ابعاد بعضها عن بعض فتبين من كلامه ان حفظ كل فلك في مداره متوقف على جذب جميع الكواكب الاخرى له في مداراتها فلو اختل احدها عن مركزه اختل جذبه له قوة وضعفاً فتختل جميع الموازنات وعرضت تلك المقارنة على استاذنا في علم الهيئة حضرة الفاضل عبد المجيد افندي خيري فاقرني عليها ثم وجدتها مستفيضة شائعة بين العلماء العصريين فما اجمل العلم وما ألذ الحكمة قال مؤلف هذا الكتاب وهذه المسئلة سنشبع الكلام عليها في نظام العالم والامم[1] باوفى بيان

---

(١) كتاب نظام العالم والامم مطبوع

## الفصل الثاني

### ( في الشمس ومنافعها )

ثم ان للكواكب منافع كثيرة عائدة على النوع الانساني وما دونه من حيوان ونبات ومعدن

لننظر الى الشمس التي هي اعظم الكواكب جرماً فيما يظهر للباصرة كيف خلقها الله عز وجل سائرة اذ لو كانت واقفة لاشتدت الحرارة في موضع والبرودة في موضع آخر ( وسيرها بحسب ما يشاهد وسنشبع الكلام على ذلك قريباً ان شاء الله تعالى) ولذلك نراها تطلع كل يوم من المشرق ولا تزال تمشي في موضع بعد موضع الى ان تنتهي الى المغرب فلا يبقى موضع محاذ لها الا ويأخذ من اشعتها وتميل كل سنة مرة الى الجنوب ومرة الى الشمال لنعم فائدتها ولها تأثير في العلويات وتأثير في السفليات اما تأثيرها في العلويات فمنه اخفاؤها ضوء جميع الكواكب عنا اشدة ظهور شعاعها واعطاؤها للقمر النور قليلاً او كثيراً بسبب قربه منها أو بعده عنها وغير ذلك واما تأثيرها في السفليات فمنه تأثيرها في البحار فانها اذا أشرقت

على الماء تصعدت منه ابخرة بسبب السخونة فاذا بلغ البخار الى الهواء البارد تكاثف من البرد وانعقد سحاباً ثم تذهب به الرياح الى الاماكن البعيدة عن البحار فينزل مطراً يحيي به الله الارض بعد موتها وتجري به الانهار والعيون فيصير سبباً لبقاء الحيوان وخروج النبات وقد قال تعالى (وهو الذي يُرسل الرياح بُشْرًا) تبشر بالمطر (بين يدي رحمتهِ) اي امام المطر الذي هو رحمته لانه سبب لحياة الارض الميتة (حتى اذا أَقَلَّتْ) حملت (سحاباً) جمع سحابة (ثِقالاً) بما فيها من الماء (سقناه الى بلد ميت) محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم ينبت فيه زرع (فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك) أي كما احيينا البلد الميت (نخرج الموتى) احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم (لعلكم تذكرون) وفي آية أخرى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً) قطعاً (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزلَ عليهم من قبله لمبلسين) آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحي الارض) بالنبات وأنواع الثمار (بعد

موتها ان ذلك ) أي الله ( لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير )
ومن فوائد الشمس امر المعادن على رأي المتقدمين من
الحكماء فانهم قالوا انها مركبة من اجزاء أرضية مختلطة بمياه
الامطار تصعبها الشمس فتتولد منها الاجساد المعدنية كالذهب
والفضة وسائر الفلزات ولكن الذي دلت عليه العلوم الحديثة
ان هذه اجسام بسيطة ليست مركبة كما هو مقرر عند
جميع الامم الآن ومن فوائدها أمر النبات فان الزرع والشجر
لا يثمر الا في المواضع التي تطلع عليها الشمس ألا ترين ان
النخل والشجر العظيم لا ينجع الزرع النابت تحتها ولا يبدو له
ثمر وان اخضر ومن النبات ما تؤثر فيه الشمس تأثيرًا ظاهرًا
بسبب الحركة اليومية كاللينوفر والادريون وورق الخروع
فانها تنمو اذا ارتفعت الشمس فاذا زالت الشمس اخذت في
الذبول فاذا غابت ذبلن وضعفن وأمر عابد الشمس معلوم ثم
تعود في اليوم الثاني كما كانت وهكذا ومن فوائدها تأثيرها في
الحيوانات فانا نراها اذا طلع النهار واشرق نور الشمس تنتعش
ابدانها وتظهر فيها قوة الحركة وزيادة النشاط وكلما اشتدت
الشمس وقويت حرارتها ظهرت عليها سيما الابتهاج وزادت

قوة الحياة في ابدانها الى ان تصل الى وسط السماء فاذا مالت اخذت قوة الحيوانات وحركتها في الضعف متدرجة فترجع الحيوانات كالموتى ثم تبعث في اليوم الثاني وهكذا الى ما شاء الله ومن عجيب تأثيرها في الانسان ان اهل البلاد المسامتة لها سود الجلود كما قال ابن سينا

للزنج حر غير الاجسادا  حتى كسا جلودها سوادا

واخلاقهم وحشية وفيهم خفة وطيش وكلما مالت البلاد عن تلك المسامتة بعدت الالوان عن السواد وقربت من البياض بالتدريج فمثلاً نرى اهل صعيد مصر وجوههم فيها سمرة وأهل الوجه البحري اجسامهم بيضاء فاذا اتينا الى الترك وأهل أوربا وجدناهم اشد بياضاً فاذا بلغنا النهاية من جهة الشمال كشمال الروسيا وجدنا قوماً بياضهم ناصع كالثلج الذي كسا ارضهم وتوج جبالهم واخلاقهم مثله في البرودة فمن ذلك تعلم ان المتوسطين في اللون الذين بعدت بلادهم عن مسامتة الشمس وعن مدار القطبين هم القوم الكاملون وهو المعروف بالتجربة فقد ظهر منهم الانبياء والحكماء واكابر العقلاء وذوو الآراء السديدة وهم الذين اشرقت شموسهم على نوع الجنس

البشري فأفادوه اشرف الفوائد بل المقرر في الحكمة قديماً وحديثاً ان الوسط في كل شيء والاعتدال فيه هو الكمال الحقيقي وهو الذي يسعى اليه اطباء الارواح وهم علماء الاخلاق واطباء الاجسام وهم الموسومون بالحكماء في زماننا هذا

ومن عجيب أمر الشمس [١] ما زعمه البراهمة ان اوج الشمس في كل برج يمكث ثلاثة آلاف سنة ويقطع الفلك في ست وثلاثين ألف سنة [٢] وهو في برج الجوزاء الآن [٣] فاذا انقلبت الى البروج الجنوبية انقلبت احوال الارض وهيئاتها فصار العامر غامراً والغامر عامراً والبحر يبساً واليبس بحراً والجنوب شمالاً والشمال جنوباً هذا [٤] وقد كشف في عصرنا الحاضر ان الشمس لها حركة حول نفسها وحركة أخرى حول نجم آخر مجهول لم يعلم الى الآن فقال بعضهم هو نجمة من نجوم الثريا وقال آخر من نجوم الجاثي على ركبتيه وقال

---

(١) هذا من عجائب المخلوقات (٢) ذكر المتأخرون ان الحساب نحو ٢٥ الف سنة وكسور (٣) هذا باعتبار ما مضى والاوج الآن في السرطان اه مؤلف (٤) من الآثار الفكرية أعني قوله وقد اكتشف الخ

آخر من نجوم النسر الطائر وعلى كل فهي وتوابعها وسياراتها جارية دائبة مجدة ذاهبة على قوس من دائرة عظيمة جداً وارضنا والقمر والكواكب التابعة لها جارية معها وهن سارحات في هذا الفضاء الشاسع فياليت شعري الى اين تذهب بنا وما مقدار يومها الذي تتم فيه قطع ذلك القوس وكم مقدار الكوكب التي تدور هذه الشمس حوله فسبحان من حارت الافكار في صنعته ودهشت الالباب من حكمته

## الفصل الثالث

﴿ في الكلام على الخلاف بين الاوائل والاواخر في الافلاك ﴾

﴿ ومسئلة الدوران والشمس هي الدائرة ﴾

﴿ حول الارض أم بالعكس ﴾

فقالت يا سيدي ارجوك ذكر مقال شاف يكشف لي حجاب الخفاء عن الهيئة فقد اشكل القول فيها وخالف السلف الخلف وكل حزب بما لديهم فرحون فانى لا أدري ما الصواب فيها أقول الاقدمين الذين قالوا ان الارض ساكنة وان الشمس وجميع الكواكب تدور حولها أم قول العصريين

القائلين بان تلك الاجرام لا وجود لها وانما السماء لها معنى آخر وهو الشموس المشرقة وتوابعها من السيارة وسيارة السيارات وانها سبع طبقات بعضها فوق بعض وهي الاقدار السبعة المعلومة وان الارض هي التي تدور حول الشمس ثم ما الذي حملهم على ذلك حتى جدوا فيه وما الفائدة في تلك المباحث ؟ فقال اعلمي ان المتقدمين والمتأخرين افرغوا وطابهم في البحث عن الاجرام العلوية والكواكب المشرقة ولم يالوا جهداً في البحث عنها لميل الطباع البشرية الى اقتناص شوارد العلوم وفوائد المنطوق والمفهوم ولذلك نرى كل انسان يعجب بعلمه ولو في مسئلة من دنايا المسائل . فقالت يا سيدي وهل في العلم ادنى واعلى فقال نعم ان المعلومات تنقسم الى علوية شريفة والى سفلية تستضيء منها مركبة من عناصر سريعة الانحلال قريبة الدثور واللذة في العلوم على حسب شرف المعلومات فكلما كان المعلوم اشرف وأفضل كانت البهجة به واللذة اكثر وكلما نقص عن رتبة الشرف والفضل بان استمد من غيره اوكان قريب الدثور والانحلال قلت البهجة به واللذة وانّى يستوي لذة معرفة موت فلان وحياته وغنى زيد وفقر

عمرو وغير ذلك بلذة معرفة اقدار الكواكب وابعادها وحساب دورانها وسنيها وشهورها وايامها وانتظام سيرها في دوائرها فان اللذة بالأول وقتية قليلة بخلاف اللذة بالثاني فهي عظيمة جداً دائمة بدوام المعلوم وعلى هذا القياس كانت سيرة العلماء والملوك والحكماء والدول الكبيرة ألذ من سيرة العامة والسوقة والجهلة والدول الصغيرة وكذلك العالم العلوي على السفلى ولذلك كان البحث عن كمال الله وجماله أبهج وألذ في النفوس الشريفة لانه لا أشرف منه ولا أدوم وبالجملة فالبحث عن العلويات أمر لذيذ ولذلك اتجهت افكار الأُمم بأجمعها اليه وصوبت اسهم ارائها لغرضه ولقد اطلعت على آراء قديمهم وحديثهم وعجرهم وبجرهم وغثهم وسمينهم فوجدت موضوع ابحاثهم دائراً على محورين :

الاول القوانين الحسابية التي بها يعرف الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والفصول والانتقالات وغير ذلك مما توقف عليه أحوالنا المعاشية وعباداتنا وحجنا وصومنا وافطارنا وغير ذلك وهو فن التقويم المسمى علم الفلك وهذه القوانين ليس فيها بين المتقدمين والمتأخرين كبير خلاف بل

هي متقاربة ولا خلاف الا في امور جزئية لا تهدم أصلاً من الاصول ولا توجب خطأ في مقول

الثانى البحث عن العالم بأسره وهو علم هيئة الدنيا وهو فن يبحث فيه عن الارض مع غيرها من اجزاء العالم والعالم هو سائر المحدثات فهو صنعة عظيمة تكل العقول عن الاحاطة بعلم ما احتوى عليه من المخلوقات وعن الابعاد بين الكواكب ومقادير اجرامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعن السيارات والثوابت وعن الشمس اهي التي تدور حول الارض ام الارض هي التي تدور حولها وعن حقيقة السموات وغير ذلك وهذا هو الفن الذي حمى فيه وطيس الخلاف بين الاوائل والاواخر وعلماء هذا الفن مقرون بان أدلتهم ظنية غاية الامر ان بعضها اقرب الى الظن من الآخر ويشهد له [1] انهم كانوا مطبقين على تقدير بعد الزهرة عن الشمس وعلى مقدار جرمها ثم في سنة ١٢٩٣ ارسلوا العارفين الى الجهات وحرروها فعرفوا ان جميع حساب السابقين خطأ محض وانها اقل من ذلك كله

---

(١) من كتاب صفوة الاعتبار للشيخ محمد بيرم التونسي اه

بعداً وجرماً ومن الجائز ظهور الخطأ في هذا التحرير أيضاً في وقت آخر

وحيث لما كانت مسائل هذا الفن ظنية اختلف علماؤه في اسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على ان ذلك من آثار تقابل الشمس والارض فقد كان علماء الهيئة في غابر الازمنة على ما وصل الينا يدرسون في مدارسهم ويعلمون تلامذتهم هذه الهيئة الجديدة المعروفة الآن فقد كان فيثاغورس الفيلسوف الشهير يعلم تلامذته في مدرسة كروتونيا من بلاد ايتاليا على طريقة حركة الارض وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بمدة خمسمائة عام معتقدين ان هذا المرئي الذي نسميه سماءً او فلكاً هو فضاء واسع وزرقته ناشئة من اكتناف الاشعة الشمسية للاجزاء الارضية وان الكواكب الثابتة في ذلك الفراغ عبارة عن شموس كشمسنا هذه وكل شمس حولها سيارات كسيارات شمسنا واقمار كقمرها وذات ذوائب كما حول شمسنا وكل واحد من هذه السيارات والاقمار وغيرها عالم مثل كرة ارضنا ومن جملة هاتيك الشموس هذه الشمس المشهورة ولها دائرة

مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات

ومن جملة السيارات الدائرة حولها هـذه الارض التي نحن عليها والقمر ملتزم لهـا ويدور عليها ومعها على الشمس . وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض الى حيث لا يحيط به النظر ولا يدركه الفكر ( وما يعلم جنود ربك الا هو ) فالسموات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكبيرة

ولما شاعت هـذه الطريقة في زماننا هذا واراد العلماء تطبيقها على ما ثبت عندهم من ظواهر الشريعة من كون السموات سبعة قالوا معلوم ان الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى في غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الاولى ويقال لها المرتبـة الاولى والقدر الاول وما كان ابعد منها غير كثير واقل في الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا الى الطبقة السادسة كل طبقة ترى كواكبها ابعد عن التي قبلها واقل منها ظهوراً واستنارة والطبقة السابعة هي التي خفيت كواكبها فلا ترى الا بالمنظرة المعظمة فهذه الطبقات هي طباق السماء وفي قوله تعالى (وزيّنّا السماء الدُّنيا بمصابيح)

قالوا السماء الدنيا عبارة عن الدوائر الشمسية التي نحن فيها المزينة بما احتوت عليه من السيارة وسيارة السيارة وذوت الاذناب وغيرها من متعلقاتها الى نحو ذلك من التأويلات التي شرحها علماؤهم وكم ورد عليهم من اعتراض وكم اجابوا عنه وقد رأيت في بعض رسائل العلامة المرحوم عبد الله باشا فكري ان تلك المباحث مستوفاة التفصيل في كتاب أسرار الملك والملكوت وشرحه الموسوم بافكار الجبروت والشرح المذكور في دار السلطنة السنية وهو باللغة التركية ومتنه بالعربية ثم ان هذه الطريقة كما قدمنا هي التي كانت سارية في انحاء المعمورة بين علمائها مستفيضة بين خاصتها وعامتها حتى جاء بطليموس قبل الميلاد بمائة واربعين سنة فاختار القول بسكون الارض ودورة الشمس عليها وبنى مذهبه على ذلك فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت في البلاد

ولما جاء الاسلام وترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية نقلها الفارابي من فلاسفة الاسلام في مؤلفاته العربية اوائل القرن الرابع من الهجرة وتبعه ابن سينا وغيره فمن جاء بعده وهجرت الطريقة المتقدمة التي كان عليها فيثاغورس وقد

قال هؤلاء العلماء ان السموات اجسام متراكبة بعضها فوق بعض كطبقات البصلة متماسة ولا تقبل الخرق ولا الالتئام وليست حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا لون لها ولا توصف بلين ولا ملاسة ولا خشونة ولا خفة ولا ثقل

وبالجملة فهي اجرام اثيرية شريفة مخالفة للاجسام العنصرية الأرضية في جميع اوصافها وهي التي تدور الحركة اليومية والكواكب تتحرك معها قسراً وللسيارات حركة اخرى مخالفة لحركة السموات اى ان السموات تدور من المشرق الى المغرب وتلك الكواكب معها ثم الكواكب لها حركة اخرى تدور بها من المغرب الى المشرق كنملة على دولاب تسير متجهة الى غير جهة حركته وبهذه الحركة المخالفة تكونت الفصول والسنون وانتظمت احوال العالم ودوّن ذلك في كتب المتقدمين

ولما شاعت هذه الطريقة بين علماء الاسلام اخذ بعضهم في تطبيقها على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وسكت عن ذلك فريق وفريق كفر القائل بذلك المذهب ثم برهن محققوهم كالغزالي وغيره على ان هذه لا تصادم الدين وان من اعتقد ذلك فقد جنى عليه وضل سواء السبيل واضل الناس

فان الدين لا ينفي ولا يثبت وكما ان من يقول ان الله خلق البصلة ست طبقات او سبعاً او ثمانياً وانها كروية او مثلثة او مربعة لا نكفره كذلك لا نكفر من يبحث في العلويات اذ كلها من مخلوقاته عز وجل ولم تذكر الا للاستدلال على صانعها والدلالة واضحة على كل حال وعلى أي شكل وكثير من علماء الكلام كانوا يناضلون الفلاسفة ويخطئونهم ويضللون فهمهم حتى قال العلامة الفخر الرازي ان الاقرب للقرآن ان تكون الكواكب سابحة في السماء كما يسبح السمك في البحر وادحض حجتهم في قولهم ان الخرق والالتئام مستحيل على الفلك واستدل بقوله تعالى ( كل في فلك يسبحون ) وكان بعضهم يعرف الطريقة المستفيضة الآن ويقارن بين الطريقتين ويميل الى هذه الطريقة كما سيظهر قريباً ثم نبغ ببلاد لهستان رجل يقال له كوبرنيكوس تمهر في العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥٣٠ من الميلاد وهي سنة ٩٣٧ من الهجرة فرجع الى الطريقة التي كان عليها فيثاغورس المؤسسة على حركة الارض وقرر ان الشمس مركز وان الارض والسيارات تدور حولها فاولا عطارد ثم

الزهرة ثم الارض ثم المريخ ثم المشترى ثم زحل وايد هذه الطريقة بادلة واشهر ذلك في كتاب له عنوانه ( حركات الاجرام السماوية ) فحكم عليه في مجمع كنيسة رومة بالزيغ والالحاد ولو امكنهم قتله لقتلوه ونهوا عن اشهار كتابه ومع ذلك شاع هذا المذهب فنسب اليه وقيل هيئة كوبرنيكوس ثم قام بعده جماعات في جهات متعددة وازمان مختلفة في انحاء اوروبا وعولوا على هيئته وسموها بالهيئة الجديدة وسموا التي قبلها بالقديمة وانت ترى من هذا انها في الحقيقة هي القديمة وان تسميتها جديدة بحسب ما شاع وظنه كثير من الناس خطأ محض وجهل بتاريخ علم الهيئة والطريقتان مذكورتان مستفيضتان في الكتب الاسلامية وقد ذكرهما العلامة عضد الدين عبد الرحمن بن احمد المتوفي سنة ٧٥٦ من الهجرة في كتابه المسمى بالمواقف وأورد على طريقة دوران الارض اعتراضات ثلاثة ثم كر على تلك الاعتراضات بالنقض والرد وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفي سنة ٨١٦ في شرحه وكان فراغه من تأليفه سنة ٨٠٧ فليراجعه من أراد وليتأمل البصير كيف كان

علماء الاسلام يدرسون الطريقتين ويعرفونهما حق معرفتهما قبل ان يظهر كوبرنيكوس ويدعي البعض ان ما تلقفوه من افواه اساتذتهم من الافرنج تقليداً لهم مخترع من عندهم لم يسبقهم به أحد وهكذا نسبة كثير من المسائل اليهم مع انهم في الحقيقة ناقلون عن غيرهم ويدعون انهم هم السابقون فليتأمل المنصفون راجعي تاريخ العلامة سديو المؤرخ الشهير الفرنساوي تعلمي الحجج الدامغة التي اقامها على ان اكثر الاختراعات لبني جنسه كذب محض وانها في كتب العرب من قبل فقالت له قد طال الكلام في هذا الموضوع فما رأيك فقال اني قدمت الاسباب الى رأيي في صدر هذه المقالة وازيده الآن وضوحاً فأقول ان الله عز وجل فطر كل مخلوق على فطرة تناسب احتياجه ولو نظرنا لجميع الحيوانات التي على وجه الارض وكذا الانسان لوجدنا كل فرد منها يعلم ما يحتاج اليه حق العلم ويجهل ما عداه لطفاً من الله تعالى به ولما كانت الكواكب والافلاك لا نحتاج منها الا الى القوانين الحسابية اظهرها لنا اللطيف الخبير بالبراهين القاطعة ولم يحم وطيس الخلاف بين الامم في الازمنة المختلفة فيها والخلاف

فيها يسير جداً لا يهدم أصلاً من الاصول . اما معرفة اجرام السماء وسكانها وهل الارض التي تدور ام الشمس فجهلنا به وعلمنا سيان لا يتوقف عليه امر من امور معاشنا لما ثبت بالبرهان ان الحساب لا يختلف سواء اعتبرنا الارض هي الدائرة ام الشمس

ومن عجيب الاحكام ان أدلته ظنية فعظم الخلاف بين الطائفتين بالاثبات والنفي وكأن الله أراد ان يرينا ان اقرب شيء الينا جهلناه ويا للعجب كيف نجهل حالنا مع ارضنا نحن مقيمون ام ظاعنون ومستقرون ام متحركون وذلك مصداق لقوله عز وجل (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فكم من شيء جهلناه وهو قريب منا كمسئلة الروح فقد احتدم فيها الوغى بين العلماء في كل عصر ولم يهتدوا الى الآن وما علم الهيئة الا كعلم الطب فانه ظني ايضاً . فقالت الفتاة لقد بنيت كون الهيئة علماً ظنياً على انه ليس مما يحتاج الى تحقيقه في المعاش والمعاد وعلى قياسه على الطب وانا احتج على ان المسئلة يقينية بما رأيته في كتب القوم من البراهين فلا اسلم ان علم الهيئة ظني . فقال اختصري في البراهين

فالوقت لايسع والقصد ان يكون مجلسنا نبذاً لطيفة واثمار علوم لا جدليا . فقالت استدلوا اولاً بانه لا يصح دوران الجسم الاكبر حول الاصغر فالعكس هو الطبيعي. ثانياً كل نجم يدور حول نفسه فكذلك الارض . ثالثاً تغير ظل الارض وقت الخسوف على سطح القمر بهيئة تدل على انها دائرة وظلها تبع لها .رابعاً ذبذبة البندول فقد وضعوه وضعاً بدقه لا يتأثر بمؤثر خارجي عليه فرسم خطوطاً تتقاطع وتكوّن رؤوسها اقواساً تطول كلما قرب البندول من القطبين وتقصر كلما قرب من خط الاستواء وفيه يكون على خط مستقيم دائما .خامساً انهم وضعوا مقداراً من الزيت في الكؤل وادار وه بابرة فدار وتكوّرَ وتفرطح في قطبيه الى آخر ما قالوا فلعلها مثله.

فقال لها ابراهيم بعض هذه الادلة اقيسة تمثيلية وهي لا تثبت حكما وبعضها مبني على الاستبعاد وهما لا يفيدان القطع ولكن باجتماعها افادت الاقناع لا اليقين

فقالت الفتاة هل القرآن ينافي هذا المذهب على فرض انه يقين فقال ان القرآن كلام الحكيم الذي اعجز جميع البلغاء والفصحاء ولم يكن القصد منه ان نشغل اذهاننا بتطبيقه على

كل مذهب يحدث في العلم وعقول الناس تتفاوت ولو طبقناه على هذا المذهب هل نأمن ان تحدث مذاهب اخرى فوجب ان يطبق عليها ايضاً. كيف ولم تذكر العلويات فيه والكائنات الارضية الا ليعرف كمال الصانع بالصنعة اما كون الصنعة دائرة او ساكنة فذلك ليس محل بحثه وكم حاول العلماء تطبيقه على الهيئة التي ادرجت في الاكفان مع ان كثيراً من ظواهر الالفاظ كان يخالفها حتى جاء تكشيف الافرنج فابطل المذهب السابق وظهر ان تلك المحاولة والتطبيق على المذهب البائد لم يصادف محله . على ان علماء الاسلام كانوا يضللون الفلاسفة السابقين ويخالفون مشاربهم بآرائهم الثاقبة حتى وافقوا من قبل علماء الافرنج في هذه الايام فقالت وهل نذكر شيئاً من ذلك فقال نعم

اولاً . نفس دوران الارض فقد شم من كلام صاحب المواقف انه يعتمده وهذا كان قبل ان يعرفها الافرنج .

ثانياً . كانوا يعتقدون النحس والسعد وخراب الدول وعمارتها من آثار العلويات .

ثالثاً . عدم الخرق والالتئام في الفلك .

رابعاً . ان الافلاك لها نفوس وارادات .

خامساً . ان بعد الهواء كرة النار .

وكل ذلك تقضه علماء الاسلام ووافقهم الافرنج في هذه الايام على اننا لو ارخينا العنان للقلم ونظرنا في القرآن لوجدنا ما يشير الى الطريقة الجديدة وان لم يذكر في كتب المتقدمين منها قوله تعالى (صنع الله الذي أتقن كل شيء) بعد قوله (وترى الجبالَ تحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السحاب) ومنها انه قال (وهو الذي مدَّ الارضَ وجعل فيها رواسيَ وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زَوجين اثنين يُغشي الليل النهارَ) فذكر الليل والنهار بعد ذكر الارض يشير الى انهما من آثار الارض ويقوي ذلك انه قال يغشي الليل النهار فجعل الليل الذي هو ظلمة الارض يغشي به النهار الذي هو ضوء الشمس ففيه تلميح الى ان الارض هي التي تحدث ذلك بفعل الله تعالى ومنها (والشمسِ وضحاها والقمرِ اذا تلاها والنهارِ اذا جلاها والليلِ اذا يغشاها) فجعل النهار الذى هو مقابلة وجه الارض للشمس مجلياً لها والليل الذي هو الظلمة الاصلية للارض مغشياً لها فاسند فاعلية ذلك لغير الشمس وهو الليل

والنهار الذي هو من آثار الارض وهـذان الوجهان ذكرهما العلامة الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي ومنها قوله ( وكل في فلك يسبحون ) بعد ذكر الارض والقمر والشمس ومع ذلك كله فالقرآن لا يعارض شيئاً من هذه الاشياء . على اننا لا نحتاج لتأويل القرآن الا لليقينيات وهذا ليس منها فان نوع بنى آدم لا يمكنه ان يحيط بشيء من علم الله تعالى الا بما شاء وهل يشاء الله ان نعلم ما لا مصلحة لنا في علمه بل علم مثل ذلك ربما اضر بمصالح الانسان من حيث ولوعه بما هو بعيد عنه وربما يشغله عن أمور معاشه بل الاغرب ان أحد العلماء الفرنساويين المتأخرين قال ما ترجمته ان للعقل حداً محدوداً لا يتجاوزه فاتعاب العقل في معرفة الاجرام العلوية وماهيتها كاتعاب البصر في ان يرى ما فوق السقف من اسفله فهب انك اعنته باعظم المزايا المكبرة فانه لا يمكن ان يخترق السقف حتى يرى ما فوقه ويناسب هـذا ما صرح به عالم الفرنساويين المسمى فيلكس لاميروس في القرن التاسع عشر من قوله ان الجذب كلمة يعلم منها الفعل لا السبب فان هـذا المعنى بحث عنه الطبيعيون فلم يوفوه الخ ما قال فكلام هذين

العالمين يؤيد ما قلنا من ان هذه ظنيات انظره في كتابنا ميزان الجواهر وسيرد عليك فيه أيها القارئ ان شاء الله تعالى ان كل حيوان له حد ومقدار في المعارف لا يتجاوزه ولا ينقص عنه ولو لا ذلك لاختل نظام العالم

---

## الفصل الرابع

### ( في الكلام على عجائب القمر ومنافعه )

ولما كان القمر يتلو الشمس في الشهرة وتعرف به الاشهر وجب ان نذكر شيئاً من خواصه فنقول من عجائبه امر البحار وذلك ان القمر اذا صار في افق من آفاق البحر اخذ ماؤه في المد قليلاً مع القمر ولا يزال كذلك الى ان يصير القمر في وسط سماء ذلك الموضع فاذا صار هنالك انتهى المد منتهاه فاذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعاً الى ان يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاه ( ومعنى الجزر انحسار الماء والمد ارتفاعه ) فاذا زال القمر عن مغرب ذلك المكان ابتدأ المد مرة ثانية الا انه اضعف من الأول ثم لا يزال كذلك الى ان يصير القمر في وتد الارض

فحينئذ ينتهي المد منتهاه في ذلك الموضع ثم يبتدئ بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر مشرق ذلك الموضع فيعود المد الى ما كان عليه اولاً فيكون في كل يوم وليلة في ذلك المكان من البحر مدان وجزران ومنها امر ابدان الحيوان فانها في وقت زيادة القمر تكون اقوى والسخونة والرطوبة والنمو عليها اغلب وتكون الاخلاط في بدن الانسان ظاهرة والعروق ممتلئة فاما اذا اخذ القمر في النقص فان الابدان تكون اضعف والبرد عليها اغلب والنمو اقل والاخلاط في غور البدن والعروق اقل امتلاء وذلك ظاهر . ومنها ان شعور الحيوانات يسرع نموها وتغلظ في أول الشهر وفي آخره تكون على الضد وكم اودع اللطيف الخبير في القمر من فعل عجيب وتأثير غريب فقد قال العلماء ان ألبان الحيوانات تكثر في النصف الاول من الشهر وتزداد ادمغتها ويكثر بياض البيض المنعقد فيه وتسمن الاسماك في البحار ويكثر وجودها فيه ويسهل صيدها ويقوى فيه فعل الحشرات التي تلسع او تعض كالعقرب والحية ويكثر خروجها من اوكارها فيه وفيه يكثر طلب السباع للصيد وان الاشجار اذا غرست فيه اسرعت

النشوّ والحمل واذا حصل لقاحها وحملها فيه جاد ثمرها وقد شوهد عند ارباب الفلاحة بل عند العامة منهم ان الفواكه والرياحين والزّرع والبقول والاعشاب وغيرها كالخوخ والبطيخ والسمسم والقثاء والخيار والقرع تزيد فيه زيادة اكثر منها في النصف الاخير واذا وقع نوره على الفواكه اعطاها لوناً عجيباً اصفر فاقعاً او احمر قانياً او ابيض ناصعاً او ازرق زاهراً وهذا كله في زيادة القمر اما في نقصانه ففعله اقل فتكون الوان الفواكه اقل جمالا ويقل نمو الفواكه والزرع ونمو القثاء والخيار وتقل الالبان في الضروع ويضعف فعل ذوات السموم ويقل طلب الوحوش للصيد ويقل خروج الحشرات من اوكارها وهكذا ( صنع الله الذي اتقن كل شيء ) وهذا كله رأيته في كتب القدماء وكم في القمر من فوائد غير ذلك فمنها انه يقسم الزمان الى شهور بدون معاناة حساب ثم الشهور تكون سنين كل اثنى عشر شهراً منها سنة وهي المسماة بالسنين القمرية